نشریّـــهٔ ادب و زبـــان
دانشکدهٔ ادبیات و علوم انسانی
دانشگـــاه شهیـــد باهنر کرمان
دورهٔ جدید، شمارهٔ ۲۸(پیاپی۲۵) زمستان ۸۹

جمال المعنی و حُسن التعبیرفی الکلام العربی*

(علمی – پژوهشی)

دکتر نصرالله شاملی
دانشیـــــار دانشگـــاه اصفهـــان
فریبا حسینـــــی
کارشناسی ارشد ادبیات عرب دانشگاه اصفهان

الملخَّص

هذه المقالهٔ تشتمل علی ثلاثهٔ مباحث :

۱- دلالهٔ الحروف علی المعانی : نعالج فی هذا القسم الصلهٔ بین الحروف و معانیها. عنی نقاد العرب بهذا اللون من الدراسهٔ فتعقبوا هذه الصلهٔ بمقدار وسعهم . فنجد مثلا بعض دراساتهم حول جرس الحروف التی تضاهی أصوات الأفعال . و سنفصل القول فی هذا الموضوع فیما بعد تحت عنوان « دلالهٔ الحروف علی المعانی » (ص۳) .

۲- دلالهٔ الألفاظ علی المعانی : ندرس فیه الرابطهٔ بین اللفظ و المعنی أو بین الشکل و المضمون. ذاکرین آراء بعض النقاد کالجاحظ ،وابن رشیق القیروانی ،و ابن جنی ،و أبی هلال العسکری و غیرهم فی هذا الموضوع .

---

*تاریخ ارسال مقاله : ۸۶/۱۱/۲۴ تاریخ پذیرش نهایی مقاله: ۸۸/۲/۱۹

آدرس ایمیل : Dr_nasrollahshameli@yahoo.com
faribahosayni@yahoo.com

۳- دلالة الأوزان الشعرية على المعانى : نعالج هنا، التلاؤم بين الوزن و المعنى مشيرين إلى ما يجب من التلاؤم بين الوزن و المعنى ،ناقدين بعض الآراء فى ذلک .

المفردات الأساسية : اللفظ و المعنى ، الشكل و المضمون ، أجراس الحروف ، أغراض البحور .

زیبا معنایی و بیان نیکو در سخن عرب

چکیده

این مقاله سه مبحث را دنبال می کند:

۱- دلالت حروف بر معانی: در این مبحث رابطه میان حروف و معانی مورد ارزیابی و بررسی قرارمی گیرد. ناقدان عربی بررسی را به مقدار وسعشان دنبال کرده اند. بررسیهای آنان نشاندهندهٔ این است که آهنگ برخی حروف با آوای فعلها شباهت تام دارد. این موضوع در این مقاله تحت عنوان «دلالت حروف بر معانی» نامگذاری شده است.

۲- دلالت الفاظ بر معانی: در این مبحث نیز میان لفظ و معنی یا میان شکل و مضمون، پس از بررسی مورد نیاز، ارتباط معنایی یافته شده است؛ هم چنین آرای برخی از ناقدان معروف عربی چون جاحظ و ابن رشیق قیروانی، ابن جنّی و ابوهلال عسکری و دیگر ناقدان در این موضوع مطالعه ، و از چگونگی استدلال آنها آگاه شده ایم.

۳- دلالت اوزان شعری بر معانی: در این بررسی نیز درصدد بررسی ارتباط و هماهنگی میان وزن شعر و معنای آن برآمدیم و معیارهای روشنی را که ناقدان ادب عربی به طور گسترده از آن بحث کرده بودند، ارزیابی کردیم و نظرنهایی خود را در این مورد به صورت تحلیلی بیان کردیم.

کلمات اصلی: لفظ و معنا، شکل و مضمون در جمله، آهنگ حروف در جمله، اغراض بحری شعر.

المقدمة :

الحمدلله على أن يسّر لنا من العلم و العمل ما لم نكن عليه بقادرين ، و هيّأ لنا من الجدّ و الصبر ما لم نكن له بحاملين . و الصلاة و السلام على محمّد النبي الأمين صلي الله عليه و آله و على سائر الأنبياء و المرسلين ، و من أخلص لله في علمه و عمله إلى يوم الدين .

و بعد : فلمّا نظرنا نظرة عابرة إلى مؤلّفات النقد الأدبي والمؤلّفات العروضية ، خطر ببالنا موضوع مناسب لكتابة هذه المقالة ، و هو أنّ الحروف و الألفاظ و الأوزان الشعرية إذا استعملت بشكل جميل و بليغ يمكن أن تؤثّـر في أحاسيس الآخرين كساحريخلب قلوب الناظرين بأعماله الساحرة .

لهذا راجعنا المقالات و الكتب العروضية و أيضا كتب النقد الأدبي و من أهمّها : العمدة لإبن رشيق القيرواني ،و الصناعتين لأبي هلال العسكري ،و كتاب عيار الشعر لإبن طباطبا و غيرها . و لكن حينما طالعنا هذه المؤلّفات رأينا فيها فراغا لخلوها من أيّ عمل جادّ في هذا المضمار على الرغم من الجهود المبذولة هنا و هناک، هذه الجهود التي يشكر عليها مؤلّفوها.

الأمر الذي دعانا إلى أن نكتب مقالة حول هذا الموضوع اكتشاف السرّ المكنون في اللغة –أية لغة كانت – في امتلاک ناصية القلوب و الاستيلاء على الألباب ؛ فلهذا درسنا تأثير بعض أجزاء اللغة كالحروف و الألفاظ و الأوزان الشعرية في المعاني .

بعد هذه الدراسة استنبطنا أنّ سبب نجاح أكثرالأدباء الناجحين جمال المعنى في كلامهم .

اِنّ جمال المعنى لايؤثّـرفي أحاسيس القارىء أو السامع الّا بحُسن التعبير . و التعبيرهو الصياغة ، و ترتبط الصياغة بفنون اللغة من نحو و صرف و غيرهما و بكلّ مايتصل بالكلمة المفردة و بالجملة و ماوراء ذلک من دلالات تؤثر في طبيعة المعنى و الغرض .

جمال المعنى و حُسن التعبيرإذا كانا متلازمين،كان لهما في قارئيهما و سامعيهما أثر كبير في القلوب . إذا كان الأديب ضعيف التأثير تضيع أدلّته المقنعة و تذهب هواء في شبک ؛و إذا كان قوى التأثير في عواطف قارئيه و سامعيه ألهب مشاعرهم و أثار أحاسيسهم فينشدون إليه و يتحمسون لفكرته .

هذا كلّ ما نريد توضيحه و بيانه في هذه المقالة. و ما التوفيق إلّا بالله ، عليه توكّلنا و إليه نُنيب .

دلالة الحروف على المعاني :

ايحاءات الحروف :

يعتبر النقّاد الايحاء أحد مقاييس نقد الكلمة و الكلمة إنما تتكون من حروف .

فما معنى الايحاء؟ الايحاء انارة الكلمة في النفس ، و أن تكون الكلمة مصوّرة بجرس حروفها للمعنى الذي تدل عليه ، كاستخدام كلمة الصليل في قول المتنبي (۱۹۹۷م./۴۱۹) :

وَ أمواَهٌ تَصِلّ بهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الحَلي في أيدي الغَوَاني

أمواه : ج ماء. تصِلّ : تصوّت. الغواني : النساء الحسان .

فان ارتطام المياه بالحصي ، يحدث صوتا يصوّره الصاد و اللام . وقدعني نقـّاد العرب بهذا اللون من الدراسة فتعقّبوا بمقدار وسعهم أجراس الحروف التي تضاهي أصوات الأفعال .

فمثلا « قضم » يستخدم في اليابس و « خضم » في الرطب ، و ذلک لقوّة القاف و ضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى و الصوت الأضعف للفعل الأضعف .

و قيل مثلا « قط الشيء » اذا قطعه عَرضا و « قده » اذا قطعه طُولا ، و ذلک لأنّ منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال . (ابن جني ، ۱۹۹۰م /۱ ،۶۶- ۶۷) .

و ذهب البعض الى أنّ كلّ حرف في اللغة العربية يكاد يحمل دلالة حركته فيثير صورة متصلة بلفظة و خيالا يتضمنه النطق به .

ونجد بعض الأحيان في اللغات الأخرى هذه الدلالة . فمثلا نجد الحافظ الشيرازي في اللغة الفارسية ينشد (۱۳۷۸هـ.ش/ ۲۵۹) :

نماز شام غريبان كه گريــه آغـازم به مويه هاى غريبانه قصّه پردازم

من از ديار حبيبم نه از بلاد غريب مهيمنا به رفيقـان خود رسـان بـازم

فهو في هذا الغزل يختار الحروف الممتدة لأنه يريد أن يبين أحزانه و همومه.لأنّ الحروف الممتدّة تناسب الهمّ و الغمّ و الحزن و الألم .

أو ينشد (۱۳۷۸ هـ.ش / ۲۲) :

در دير مغان آمد يارم قدحى در دست

مست ازمى و ميخواران از نرگس مستش مست

و في هذا البيت يختار الحروف غير الممتدّة لأنّه يريد أن يبيّن معنًى سارّاً . لأنّ الحروف غير الممتدّة توافق المعاني السارّة . و نجده في البيت التالي (۱۳۷۸هـ.ش / ۱۳۸) :

از صداى سخن عشق نديدم خوشتر يادگارى كه در اين گنبد دوار بماند

جاء بالحرف الذي يدلّ على الصوت الذي يحدث تحت تلك القبّة بسبب تكرارحـــرف « الدال » .

و أمّا في اللغة العربية – و هي من أدق اللغات تعبيرا و أصحّها قياسا – نجد حروفها تدلّ على المعاني بدقة ، فمثلا :

حرف الحاء اذا وقع آخر الكلمة دلّ علي الظهور و الامتداد و التفريق مثل : شرح ، باح السر، ساح الماء ، صاح الرحل ، فاح الطيب ، شرح الكلام ، صرح بما ينوي ، فضح أمره و ... أو حرف الشين اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي التفريق مثل : شتت شملهم ، شطر الشيء ، شاع الخبر ، شف الثوب و ... أو حرف التاء اذا جاء ثاني الكلمة دلّ علي القطع مثل : بت الحبل ، بتر العضو و... أو حرف الثاء اذا كان ثاني الكلمة دلّ علي الانتشار مثل : بث الخبر ، بثق النهر (انفجر ماوه) و ... أو حرف السين و الصاد و الضاد و الطاء اذا كان ثاني الكلمة دل علي القطع مثل : حسم ، حصد ، قص ، قطع ، قطف و ... أو

حرف الغين اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي الاستتار و الظلمة و الخفاء مثل : غابت الشمس ، غشيه الأمر ، غمره الماء ، غرس ، غرق ، غطي و... أو حرف النون اذا وقع في أول الكلمة دلّ علي الظهور و البروز مثل : نفث ، نفخ ، نبت ، نبذ ، نزف ، نزع ، نما ، نطق و ... أو حرف القاف في المجموعات التالية يتضمن الاصطدام أو الانفعال و تقترن بحدوث صوت شديد تصوره القاف في شدتها مثل : قد ، دق ، شق ، طق ، عق ، طرق ، قرع ، قطع ، قذف و ... أو حرف السين يدلّ علي الليونة و السهولة مثل : سهل ، سلم ، سل ، سلس ، سال ، سما ، سعد ، سكن و... [*] .

نستنتج من ذلک أنّ الحروف باعتبارها أحد أجزاء اللغة ، تؤثر في أحاسيس المخاطب تأثيرا جميلا اذا استخدمت في مكانها المناسب .

دلالة الألفاظ على المعاني :

من المشاكل التي أثارها النقاد قديما و حديثا مشكلة الصورة و المضمون في الأدب أو مشكلة الشكل و المحتوى أو بعبارة أوضح مشكلة اللفظ و المعنى .

ففي كتب البلاغيين جدل شديد حول اللفظ و المعنى .

و بإعتبار أن البلاغة تتمثل في النصوص المكتوبة أو الملفوظة فأين تكون البلاغة ، في اللفظ أو في المعنى ؟

نحن نعتقد بأنّ اللفظ و المعنى متلازمان لاينفصلان .

« انّ فن الأدب ينهض على دعامتين ، هما فكرة الأدب و صورته ، و هما سر ما فيه من عظمة و جمال ، غير أنّ هذه العظمة و ذلک الجمال لايقعان موقعهما و لايحدثان أثرهما الا اذا انضمت اليهما دعامة ثالثة ، و تلک الدعامة هي المطابقة و التناسب بين الصياغة و المضمون من جهة ، و ما يتصل بالعمل الأدبي من وجوه من ناحية الغرض و الموضوع و قارىء الأدب و المستمع اليه من جهة أخرى » (بدوي طبانة ، ۱۹۷۲ / ۵۶) .

[*] http://www.al-atheer.com/vb/showthread.

و نجد آثار هذه المطابقة بين اللفظ و المعنى في الأغراض الشعرية فمثلا : أحد مقوّمات الوصف ، أن تكون العبارات و التراكيب ملائمة لما يوصف سواء أ كان الموصوف منظرا رائعا ، أم معركة حامية ، أو يأسا ... .

قال الله تعالى في وصف القيامة : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ » (سورة القارعة) .

فالعبارات و الحروف(كالقاف ، و العين) هنا جزلة قويّة تلائم مشاهد هذا اليوم المرعب ، و قد نصبت فيه الموازين لتقرير مصائر العباد .

قال الله تعالى أيضا يصف مقام أهل الجنّة :

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ » (سورة المطففين ، الآية۲۲-۲۸).

أما العبارات و الحروف (كالهمزة ، و الياء ، و النون) هنا فقد جاءت رقيقة ، لطيفة ، تناسب مقام الجنّة و نعيمها و سعادة أهلها .

« الأشعار أيضا بعضها مقبولة و بعضها غير مقبولة . فإذا كانَ الكَلامُ الوَارِدُ على الفَهم مَنظُوماً مُصَفـًّى من كَدَر العِيِّ ، مُقَوَّماً من أوَدِ الخَطأ و اللَّحن ، سَالِماً من جَور التَّأليف ، مَوزوناً بميزَان الصَّواب لفظاً و مَعنًى و تَركيباً اتَّسَعَت طُرُقه ، و لَطُفَت مَوَالِجهُ فَقَبِلَهُ الفَهمُ ، و ارتَاحَ له ، و أنِسَ به . و إذا وَرَدَ عليه على ضدِّ هذه الصِّفَة و كانَ باطِلاً مُحَالاً مَجهولاً انسَدَّت طُرقُه ، وَ نَفَاهُ ، و استَوحَشَ عند حِسِّه به ، و صَدِىء له ، و تَأذى به كَتَأذي سائر الحَواسِّ بما يخالِفُها [...] . و عِلَّةُ كُلِّ حَسَنٍ مَقبولِ الاعتِدالُ ، كما أنَّ عِلَّة كلِّ قبيح مَنفِيٍّ الاضطِرابُ [...] . و للشِّعر المَوزون إيقاعٌ يَطربُ الفَهمُ لصَوابهِ و ما يَرِدُ عليه من حُسن تَركيبه و اعتدال أجزائِه ، فإذا اجتَمَع للفَهم مع صِحَّةِ وَزن الشِّعر صِحَّةُ وَزن المَعنى و عُذوبةُ اللَّفظ فَصَفَا مَسموعُهُ و معقُولُهُ من الكَدَر تَمَّ قبولُهُ له ، و اشتمالُهُ عليه ،و إن نَقَصَ جزءٌ من

أجزائِهِ التی یکمُلُ بها– وهی اعتدالُ الوَزن ، وصوابُ المَعنی ،و حُسنُ الألفَاظ – کان إنکارُ الفَهم إیَّاهُ علی قَدر نُقصان أجزائِهِ » (ابن طباطبا ، ۱۹۸۵ م./ ۲۰و ۲۱).

و أمّا مشکلة اللفظ و المعنی فمن المشاکل التي شغلت قلوبنا کثیرا و بعد التفکّر و التدبّر و التأمّل في آراء النقاد ،جعلنا هذه الجملة أمام أعیننا :«لا لفظ و لامعنی بل أمر بین أمرین»و رافقنا النقاد الذین یهتمون باللفظ و المعنی معا،کابن رشیق القیرواني و عبدالقاهرالجرجاني و ... .

فابن رشیق في کتابه « العمدة في صناعة الشعر و نقده » یقول في فصل فتحه لبحث مشکلة اللفظ و المعنی : « اللَّفظ جسمٌ و روحه المعنی ، و ارتباطه به کارتباط الروح بالجسم : یضعف بضعفه و یقوی بقوَّته . فاذا سلم المعنی و اختلَّ بعضُ اللّفظ ،کان نقصاً للشعر و هُجنَةً علیه کما یعرض لبعض الأجسام من العَرَج و الشَّلل و العَوَر و ما أشبه ذلک، من غیر أن تذهبَ الروح ؛ و کذلک إن ضَعفَ المعنی و اختلَّ بعضهُ ،کان للّفظ من ذلک أوفرُ حظٍ ، کالذي یعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح. و لانجدُ معنی یختلُّ الا من جهة اللّفظ و جَریه فیه علی غیر الواجب ؛ قیاساً علی ما قدَّمت من ادواء الجسوم و الأرواح . فان اختلَّ المعنی کلُّه، و فسد، بقي اللفظ مَوَاتا لا فائدة فیه ، و إن کان حَسَنَ الطُّلاوة في السَّمع ، کما أنَّ المیت لم ینقص من شخصه شيء في رأي العین إلّا أنّه لا یُنتَفَعُ به، و لا یُفید فائدة . و کذلک ان اختلَّ اللّفظُ جُملةً ،و تلاشی ، لم یَصِحَّ له معنی ؛ لانّا لا نجدُ روحاً في غیر جسم ألبتَّة » (۱۹۸۸م. /۱، ۲۵۲) .

فهو لا یفصل بین اللفظ و المعنی کما صنع الآخرون من النقاد ، بل هما في رأیه مترابطان ترابط الجسم بالروح ، فما یصیب أحدهما من آفة یصیب الآخر أیضا .

و عبد القاهر الجرجاني هو الآخر نراه یوافق رأي ابن رشیق في هذا الأمر أیضًا ، کان من زعماء مدرسة النظم .

فمدرسة النظم قد وحدت النظرة الی وجهي الکلمة : لفظها و معناها . و رأت فیها جسدا و روحا متکاملین اذا اعتلّ أحدهما اعتلّ الآخر .

فعبد القاهر يرى أن الألفاظ رموز لمعانيها ، و ان اللفظة لا قيمة لها في ذاتها ، و انما تـنـبع قيمتها الحقيقية من المعنى الذي تدلّ عليه .

فلفظة (الالم) مثلا لا قيمة لها في ذاتها ، و انّما تـنـبع قيمتها من المعنى الذي اصطلح الناس على فهمه منها .

و اذا سلّمنا بما يريد عبد القاهر و من الطبيعى ان نسلم به فمن حقنا أن نعجب معه من الذين يجعلون للفظ بلاغة تنفصل عن معناه أو يجعلون البلاغة للفظ وحده دون معناه ، فهو يحمل على الفريق الاول الذى يفصل اللفظ عن معناه قائلًا :

> واعلم أني على طول ما أعَدتُ و أبدأت ، و قلت و شرحت فى هذا الذي قام في أوهام الناس من حديث اللفظ لربما ظننت أني لم اصنع شيئا . و ذاک :انک ترى الناس كأنه قد قضى عليهم ان يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت ، و على التوهم و التخيل ، و إطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى قد صار ذاک الدأب و الديدن، و استحكم الداء منه الاستحكام الشديد . و هذا الذي بيناه و أوضحناه كانک ترى ابدا حجابا بينهم و بين ان يعرفوه ، و كانک تسمعهم منه شيئا تلفظه اسماعهم ،و تنكره نفوسهم ، و حتى كأنه كلما كان الامر أبين ، كانوا عن العلم به ابعد ، و فى توهم خلافه أقعد ، و ذاک لان الاعتقاد الاول قد نشبَ في قلوبهم ، و تأشب فيها. و دخل بعروقه في نواحيها ، و صار كالنبات السوء الذي كلما قلعته عاد فنبت . و الذى له صاروا كذلک: أنهم حين رأوهم يفردون اللفظ عن المعنى و يجعلون له حسنا على حدةٍ ، و رأوهم قد قسموا الشعر فقالوا : ان منه ما حسن لفظه و معناه ،و منه ماحسن لفظه دون معناه ، و منه ما حسن معناه دون لفظه ، و رأوهم يصفون اللفظ باوصاف لا يصفون بها المعنى. ظنوا ان للفظ من حيث هو لفظ حسنا و مزية و نبلا و شرفا ، و ان الاوصاف التي نحلوها اياها هي اوصافه على الصحة ، و ذهبوا عما قدمنا شرحه من أن لهم في ذلک رأيا و تدبيرا، و هو ان يفصلوا بين المعنى الذي هو الغرض و بين الصورة التي يخرج فيها ، فنسبوا ما كان من الحسن و المزية في صورة المعنى الى اللفظ ،و وصفوه في ذلک باوصاف هي تخبر عن أنفسها انها ليست له، كقولهم : انه حلى المعنى ، و انه كالوشى عليه ، و انه قد كسب المعنى دلا و شكلا ، و انه رشيق انيق و انه متمكن و انه على قدر المعنى لافاضل و لا مقصر الى اشباه ذلک مما لاشک انه لايكون و صفا له من

حيث هو لفظ و صدى صوت ، الا انهم كأنهم رأوا بسلا حراما ان يكون لهم في ذلک فكر و رؤية . (الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ١٩٦١م. / ٢٣٦و٢٣٧) .

فهو في النص السابق يؤكد فكرتين على درجة من الأهمية ، لاحساسه بانه يقدم فكرا جديدا يخالف التقاليد السائدة مؤكداً عليه في اكثر من موضع ، و بأكثر من صورة فهذا الفكر الذي يؤكده هو :

اولا : ان اللفظ من حيث هو صدى و صوت لا قيمة له في ذاته بل تنبع قيمته من المعنى الذي يدل عليه .

ثانيا : لا نستطيع ان نفصل اللفظ عن معناه ، او الصورة عن غرضها .

و هو لذلک يحمل على ابن قتيبة و قدامة بن جعفر و امثالهما من النقاد الذين يفصلون بين اللفظ و المعنى و جاعلين لكل منهما بلاغة منفصلة فلا بلاغة للفظ عند عبد القاهر الا في تعبيره عن معناه كما اننا لا نستطيع تبين المعنى او الغرض الا في صورته اللفظية .

أ لست ترى معي ان فكرة عبد القاهر في تلاحم اللفظ و المعنى ، و احساسه بان اللفظ صورة المعنى تحل كثيرًا من مشاكل النقد العربي ؟

انّ عبد القاهر كان من الذين يعتقدون بانّ اللفظ و المعنى متلازمان ، لاينفصلان ؛ كما رأينا في قوله الذي ذكرناه .

و نرى في هذا المضمار (أي مضمار اللفظ و المعنى) فريقين من الأدباء : الفريق الأول ، هم الذين ينزعون الى جانب تفضيل الألفاظ و منهم : الجاحظ و أبي هلال العسكري .

و الفريق الثاني ، هم الذين ينزعون الى جانب المعنى ، و المعاني عندهم أكرم قدرا و أرفع شأنا و أعلى مكانة من الألفاظ ، و منهم ابن جني .

أما الجاحظ ، فهو في كل جانب من أحاديثه يرفع من شأن اللفظ و يغضّ من شأن المعنى ، بل انّه يسقطه اسقاطا ، فليس له فضل و لا مزية و لا قيمة فنية .و« المعاني فانها –في نظره-مطروحة في الطريق ، يعرفها العربي والعجمي، والبدوي والقروي » (بدوي طبانة ، ٧٤/١٩٧٢) .

وأبو هلال العسكري أيضا يرجّح جانب اللفظ على المعنى و يقول :

« ليس الشأن في ايراد المعاني لأنّ المعاني يعرفها العربي و الأعجمي و القروي و البدوي ، و انمّا هو في جودة اللفظ و صفائه و حسنه و بهائه ، و نزاهته و نقائه و كثرة طلاوته و مائه مع صحّة السبک و التركيب .. » (۱۹۵۲م. / ۵۷-۵۸) .

و أيضا يقول في كتابه « الصناعتين » : « من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف » (۱۹۵۲م. / ۵۸) .

و أمّا ابن جنّي في كتابه « الخصائص » فيرجّح جانب المعنى حيث أفرد في هذا الكتاب بابا مستقلا جعل عنوانه « باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ و اغفالها المعاني » فرأى ابن جني أنّ العرب اذا اعتنت بألفاظها فانمّا هي أصلا تخدم المعاني التي تحملها تلک الألفاظ . و المعاني عندها أكرم قدرا و أرفع شأنا و أعلى مكانة من الألفاظ و الشأن كل الشأن للمعاني . (۱۹۹۰م./۲۱۶-۲۳۸) .

نستنتج من هذا الفصل ، أن الألفاظ و المعاني متلازمان لاينفصلان . ونفهم اذا كان هناک تلاؤم بين الألفاظ و المعاني ، صار الكلام مؤثرا نافذا في قلوب السامعين و القارئين أكثر فأكثر .

فالتلاؤم بين الألفاظ و المعاني يتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس . فالأديب في كلّ ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية و النفسية .

و لهذا فالأدب مرآة عقل الأديب و نفسه .

انّنا نستطيع أن نتبيّن الصلة الوثيقة بين اللغة التي تثير في النفوس شتـّى الانفعالات و العواطف و بين علم النفس .

الدكتور عبد العزيز عتيق يقول في كتابه « في النقد الأدبي » : « الكلمة تصير رمزا لمجموعة من الوجدانات . .... فاذا أخذنا على سبيل المثال كلمة « الحرب » و تتبعناها لدى الشعراء وجدناها ترمز الى وجدانات سارة عند بعضهم ، و الى وجدانات مؤلمة عند البعض الآخر . يقول أبوفراس الحمداني و هو في الأسر : (۱۹۹۱م. / ۵۱) :

فلا تصفنّ « الحرب » عندي فانّها طعامي مذ بعت الصبا و شرابي!

فمنذ أن فارق عهد الصبا و « الحرب » عنده قوام حياته ، فهي ترتبط في ذهنه بوجدانات سارة تمثل فروسيته ، و انتصاراته في الحروب التي اشترک فيها . و قد ترمز كلمة « الحرب » الى وجدانات مؤلمة تنطوي فيها . فزهير بن أبي سلمى ، و قد شهد المآسي و الويلات التي جرتها حرب داحس و الغبراء على العرب ترتبط كلمة « الحرب » في ذهنه بكل ما هو مؤلم ،و ذلک اذ يقول : (١٩٦٤م./ ٨١و٨٢) :

و ما « الحربُ » الّا ما علِمتُم و ذُقتُمُ و ماهوَ عَنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ

متى تَـبـعَثُـوها تَـبـعَثُـوها ذَميمَةً وَ تَضرَإذا ضَرّيتُمُوها فتَضرَمِ»

(عتيق ، ١٩٧٢م. / ٩٤-٩٥) .

و صفوة القول أنّ الألفاظ التي لا تدلّ على معانيها اذا استخدمت في جملة فقدت تلک الجملة قيمتها البلاغية .

دلالة الأوزان الشعرية على المعاني :

« منذ أن وجد الشعر وجدت معه الأوزان ، فالشاعر لاينطق بكلامه في لغة عادية و انما ينطقه موزونا ، و كأنّه يلبّي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات ، اذ كنا نتصايح بأصواتنا ، و كأنّما كلّ صيحة كانت كلمة أو قل كانت قصيدة ، نعبّر بها عن مشاعرنا و احساساتنا ، تلک الاحساسات و المشاعر التي كانت تشبه محيطا متجمدا » (شوقي ضيف ، ١١١٩ / ٩٩) .

الوزن الشعري ، يراد به البحر الشعري الذي نظمت عليه القصيدة و للنقاد في ذلک رأيان فيرى بعضهم ان هناک علاقة بين موضوع القصيدة و غرضها من جهة و بين الوزن الشعري من جهة أخرى .

فالبحور ذات التفعيلات الطويلة تصلح غالبا للموضوعات الحماسية و نحوها، كما أنّ البحور الخفيفة تصلح للغزل و نحوه .

فمثلا نجد ان بحر الوافر موافق للفخر ،و بحر الرمل موافق للحزن و الفرح ،و بحر السريع موافق للعواطف ،و قيل ان ذلک علاقة ظاهرة و ليس قاعدة . اما

البعض الآخر فيعتقدون بعدم وجوب هذه العلاقة أو هذا التلاؤم فالناقد ايرج كابلي في كتابه « وزن شناسى و عروض »- باللغة الفارسية – لا يرى ضرورة لازمة بين الوزن و موضوع القصيدة و يستدلّ على ذلک بأدلّة ، فيرى ان الأوزان التي تستخدم في مضمون خاص ليست خاصة بذلک المضمون ، بل يمكن أن تستخدم في مضامين أخرى أيضًا . فمثلا اذا رأينا « الشاهنامه » و « گرشاسب نامه » و غيرها و قد نظمتا على بحر المتقارب ، لا ينبغي أن نقول : انّ البحر المتقارب بحر خاص بالحماسة ، لأنّنا نجد في « الشاهنامه » أو « گرشاسب نامه » أيضا ، أبياتا غزليّة أو حكميّة .

و أيضا يقول ما معناه : الوزن إناء يستطيع أن يستوعب كلّ ما وضع فيه ، و يعتقد بأنّ الشاعر يمكنه أن يختار أىّ وزن يرغب النظم فيه بشرط ان تكون الفاظه موافقة لمضامينها (كابلي، ۱۳۷۶ هـ.ش / ۳۱۱-۳۲۶).

و لكننا نعتقد بوجوب هذا التلاؤم بين الوزن و المضمون . لأنّ الشاعر الذي يستخدم بحر الهزج مثلا ، لا ينبغي أن يكون مضمون قصيدته ، رثاء و لأنّه لايستطيع أن يؤثر في القارىء تأثيرًا هادفًا باستخدامه هذا البحر .

الشعر يؤثر في سامعيه اذا كان بين وزنه و موضوعه تلاؤمٌ .

لا شكّ أنّ الموسيقى و الأصوات في النصّ ، تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في وجدان القارىء المتذوق و شعوره ، فمثلا بحر الهزج يهزّ أوتار الفرح في القلب اما بحر الخفيف فله موسيقى حزينة تثير هموم الانسان و احزانه .

على هذا نجد ان كل بحر من البحور الشعرية يؤدى غرضا خاصاً به. فيجب على الشاعر ان يستخدم لكل غرض بحرًا خاصا به .

و هذا التلاؤم بين الوزن و مضوع القصيدة من العوامل التي تؤثر على القارىء تأثيرا شديدا و عميقا ؛ وأنّ الجمال و الكمال في الشعر لايحصل الا بهذا التلاؤم بين الأوزان و المعاني.

« مع نموّ حياتنا الانسانية و نموّ سيطرتنا على هذه المواد التي اتخذناها للبيان مواد اللفظ و الكلمات أخذ الشعر ينمو ، و لكن لم يفارقه النغم و النشيد ، فهو

لبّه و صميمه . و اذا كان الموسيقيون يستطيعون أن يعبّروا بأصوات موسيقاهم عن فرحهم و حزنهم ، بل لقد أخذ تعبير الموسيقى يرقى في أدائه حتى أصبح صورا و قصصا يصول فيها الموسيقيون و يجولون فانّ الشعراء هم الآخرون رقت أنغامهم و ألحانهم على طول الزمن » (شوقي ضيف ، ۱۱۱۹ / ۹۹-۱۰۰) .

و أخيراً، ان الكلام لايؤثر في المخاطبين الّا اذا كان جميلا و بليغا . المتكلم يستطيع أن يحوّل شخصية المستمع بكلامه الجميل و البليغ إلى أحاسيس و عواطف منشدّة اليه .

و لابدّ أن تكون الألفاظ ، فصيحة أي مفهومة و مأنوسة الاستعمال و واضحة أي تدلّ اللفظة على المطلوب فتأتي مطابقة لمعناها .

و الكلام اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، فهو أنفذ من نفث السحر . و قد قال النبيّ (ص) : «انّ من الشعر لحكمة و انّ من البيان لسحرا » (صحيح البخاري ، ۱۹۹۲م./ ج۷، ۳۰) .

الخاتمة :

الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *

فهمنا من هذه المقالة أن يكون هدفنا في انشاء كلّ عمل أدبيّ غير مركّز على اللفظ وحده و لا على المعنى وحده بل يجب أن يكون : اللفظ و المعنى متلازمان لاينفصلان . اذا أراد المتكلم أن يكون كلامه أكثر تأثيرا فعليه أن يهتمّ باللفظ و المعنى معا . فحُسن التعبير دون جمال المعنى لايفيد ، و كذلك جمال المعنى دون حُسن التعبير .

فاذا أردنا أن نخلب قلوب السامعين أو القارئين في خطاباتنا أو في كتاباتنا ، و أن نثير الانفعال المطلوب في نفوسهم ، و ننعش ذاكرتهم ، و نجعلهم مائلين الينا ، و نثير مشاعرهم من الشفقة ،و المحبّة ،و الغضب ،أو البغض ،أو الحسد ،أو المنافسة فعلينا أن يكون كلامنا لفظه أحلى و معناه أجمل وبيانه أكمل . فهذا الكلام يؤثر في قلوب الآخرين أكثر فأكثر .

و إذا علمنا بأنّ كلّ الحروف و الألفاظ و الأصوات التي تخرج من أفواهنا ، لها أثر في قلوب الآخرين و في ذاكرتهم . فعلينا أن نهتمّ بعواطف الآخرين و أحاسيسهم ، و أن لا نملأ آذان الآخرين بكلمات سخيفة و معاني ناقصة و ضعيفة ، و أن لا نتكلّم الّا بعد تدبّر و تفكّر عميق . كما يقول الامام علي- عليه السّلام – في نهج البلاغة (خطبة ۱۷۶) : « انّ المؤمن اذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه فان كان خيرا ابداه و ان كان شرّا واراه » .

و الخلاصة انّ الكلام اللطيف المعنى ، الحلو اللفظ ، التام البيان ، أنفذ من نفث السحر .

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المراجع و المصادر :

۱-القرآن الكريم .

۲-ابن جني ، أبو الفتح عثمان (۱۹۹۰م.) ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، بغداد : دار الشؤون العامة .

۳- ابن رشيق القيرواني ، الامام أبي علي الحسن (۱۹۸۸م.) ، العمدة ،الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور محمد قرقزان ، بيروت : دارالمعرفة .

۴- ابن طباطبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد (۱۹۸۵) ، عيار الشعر، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، الرياض : دار العلوم .

۵- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحربن محبوب (۱۹۸۸م.) ، البيان و التبيين ،الطبعة الأولى ، قدّم لها و بوّبها و شرحها الدكتور عَلي ابُو ملحِم ، بيروت : دار و مكتبة الهلال .

۶- الجرجاني، عبد القاهر (۱۹۶۱م .) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صحح أصله الشيخ محمد عبده و الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ، و وقف على تصحيح طبعه و علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، مصر : مكتبة القاهرة .

۷- حافظ ، خواجه شمس الدين محمد (۱۳۷۸ هـ .ش) ، ديوان ، چاپ پنجم ، تحقيق دكتر قاسم غني و علامه قزويني ، تهران : انتشارات ساحل .

۸- زهير بن ابى سلمى (۱۹۶۴ م.) ، ديوان ، بيروت : دار صادر ، دار بيروت .

۹- ضيف ، د . شوقي (۱۱۱۹) ، في النقد الأدبي ،الطبعة الثالثة ، مصر : دار المعارف .

۱۰- طبانه ، د. بدوي (۱۹۷۲) ، البيان العربي ،الطبعة الخامسة ، بيروت : دار العودة .

۱۱- عتيق ، د. عبد العزيز (۱۹۷۲) ، في النقد الأدبي ،الطبعة الثانية ، بيروت : دار النهضة العربية .

۱۲- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (۱۹۵۲) ، الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية .

۱۳- كابلي ، ايرج (۱۳۷۶ هـ.ش) ، وزن شناسي و عروض ، اصفهان : چاپ نقش جهان.

۱۴- الموقع الانترنتي على عنوان : www.al-atheer.com

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی